الإعجاز في نص الخطاب القرآني

د. عصام العبد زهد *

الملخص

أوضح البحث تعريفاً لمعجزة وأبان شروطها و القدر المعجز من القرآن و أوضح سر التدرج في التحدي.

ثم تناول الحديث عن آراء العلماء ،حول فكرة الإعجاز البياني في القرآن ،بالشرح والتحليل عند القدامى أمثال : الخطابي ،والرماني، والجرجاني ، والباقلاني ، ومن المعاصرين : الشيخ رشيد رضا ، والرافعي ،والدكتور دراز، وسيد قطب .

ثم توسع في الحديث عن الإعجاز البياني البلاغي في نص الخطاب القرآني وعدّ الإعجاز اللغوي من أهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم من خلال الشرح ، والتحليل ، والتأويل لبعض الآيات القرآنية ،التي تناولت أنواعاً من أساليب الخطاب ، أبرز فيها البحث الفصاحة والبلاغة والبيان التي تفرد بها كلام الله، ثم أوضح الفوائد البيانية المستنبطة من النصوص القرآنية، مما جعلنا نقف على سر الجمال والبيان فيها ، فنؤمن بأنه القرآن الكريم المعجز بألفاظه للخلق أجمعين.

وخلص البحث في الخاتمة، إلى أهم النتائج ، والتوصيات المفيدة للعاملين في حقلي اللغة والدعوة الإسلامية ولطلبة العلم .

ABSTRACT

The research talked a bout the miracle speech of the Quoran and How is the language strength has become the most important face a mong other miracles of Quoran. From the explenation and analization of the "Ayats" sentences speech which dealt with many different types of speaches, the research raised the beauty of best scntecne struchre which was given and a woarded from allah "God".

Also showed the secret behined this miracle which is addressed to all people so that they do belive that Quoran is came from Allah "God".

The research covered different opinions of many scientist and specialist in miracles of Qouran such as Al-Khatabi / Al-Rawmani /Al-

---

* الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين.

Jerjani / Al-Bakilani / Shikh Rasheed Rida / Al-Rafai / Dr. Draaz / Sayed Kutob.

Last this research gave the best results and recomanded benefits to those who work in the language field and Islamic missionary and students.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، النبي الأمين ، الداعي إلى دين الله الحق ، والهادي إلى صراط الله العزيز الحميد.

إن القرآن الكريم كلام الله وهو المعجزة الخالدة والحجة البالغة ؛ لأنه مبرأ من القصور والضعف البشري ، وهو يعلو ولا يُعلى عليه كلام آخر ، تحدى العرب قديماً وحديثاً ، وهم أهل الفصاحة واللسان، وفرسان البلاغة والبيان، فعجزوا عن مجاراته ، هم وشركاؤهم من الجن ، قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ (الإسراء:88) .

وتحدث العلماء عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فحصروها في وجوه عدة منها : الإعجاز اللغوي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز التأثيري وغيرها ، وكان من أبرز هذه الوجوه في إعجاز القرآن، هو ما ظهر من فصاحته وبلاغته وبيانه ، فهو خطاب الله إلى الخلق أجمعين، على اختلاف أجناسهم، وأزمانهم إلى يوم الدين، عندما علمه المؤمنون وجدوا فيه المتعة والجاذبية فآمنوا أنه الحق من ربهم ؛ وعملوا بمقتضى آياته ، فاصبحوا خير امةً أخرجت للناس.

وإذا نظرت في نص الخطاب القرآني ، تجد التنوع على حسب حال المخاطبين ، فخاطب أهل مكة بالعبارة القصيرة، ذات الجرس الموسيقي القوي؛ لكي يستيقظوا من سباتهم إلى حقيقة العقيدة الإسلامية .

أما القرآن المدني، فهو يخاطب المؤمنين، فامتازت نصوصه بالرحمة والرأفة، ولين الجانب ، فجاءت العبارة واضحة ميسرة خالية من الشدة؛ لتناسب المؤمنين المستسلمين ابتداءً بالتكاليف الشرعية .

إن النصوص القرآنية شملت ألواناً متعددة من الخطاب نطق بها العرب ،وتغلبت على كل أساليبهم في البيان والجمال وهي : خطاب الجنس، خطاب النوع، خطاب العين، خطاب الذم، خطاب التهكم، خطاب الواحد بلفظ الاثنين، خطاب الاثنين بلفظ الواحد، خطاب الواحد بعد الجمع،

خطاب شخص، والمراد غيره، خطاب الجمادات، خطاب العاقل، حيث قام الباحث بشرح الآيات الدالة على كل لون منها ،من خلال التحليل ،والتأويل، والتفسير؛ للوقوف على سر الجمال في نص الخطاب القرآني .

المبحث الأول : المعجزة القرآنية وآراء العلماء فيها

جعلت هذا المبحث من مطلبين ،تم الحديث في المطلب الأول عن تعريف المعجزة ، وشروطها، والقدر المعجز من القرآن، ثم عن سرّ التدرج في التحدي ، أما المطلب الثاني، فقد أوضحت آراء العلماء في الإعجاز البياني قديماً وحديثاً.

المطلب الأول : تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً :

المعجزة في اللغة تعني إعجاز الخصم عند التحدي ، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي "عجز" ومصدره العجز ، وهو ضد القدرة وأصبح اسماً للقصور عن فعل الشيء ، فيقال عجز فلان عن الأمر ، إذا حاوله ولم يستطع المحاولة .

والعجز هو التأخر عن الشيء ، وعَجْزُ الأمر أي مؤخره ، ونعني القصور، وعدم القدرة على فعل الشيء ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** ﴾ (المائدة: 31) .

وأُطلق لفظ العجوز على المرأة الكبيرة في العمر ؛وذلك لعجزها عن القيام بكثير من الأعمال التي كانت تقوم بها في شبابها (الزين : 1404هـ ، تفسير مفردات ، 567) ، قال تعالى : ﴿ **قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً** ﴾ (هود: 72) .

وجاء في لسان العرب عدة معانٍ لكلمة العجز ،وكلها تدور في محور واحد، وهي كما كالأتي :

1 - **العجز :** يعني نقيض القدرة والحزم، فيقال عجز عن الأمر، يعجز عجزاً، فهو غير قادر على فعله ، فهو عاجز عن القيام بالأمر واسم الفاعل عاجز .

2 - **العجز :** تعني أيضاً الضعف فحينما تقول : عجزت عن كذا ،أي ضعفت ،ويُصدّق ذلك قول عمر رضي الله عنه : (لا تُلِثُّوا بدار معجزة) أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والعيش ؛ لشدة ضعفها الاقتصادي .

3 - **العجز :** يأتي بمعنى التثبيط ، تقول عجز الرجل غيره ، وأعجز الرجل غيره أي صار الخصم ضعيفاً عاجزاً عن متابعته (ابن منظور : 1408 ، لسان العرب ، 691/4) .

والإعجاز هو الفوت والسبق فعندما تقول : أعجزني فلان، أي سبقني، وفاتني، وجعلني عاجزاً عن طلبه .

والإعجاز في الكلام ، هو أن يبلغ الكلام مستوى من الفصاحة والبيان لا يرقى إليه كلام آخر .

وإعجاز النص القرآني : يعني ارتقاء نص الخطاب القرآني في البلاغة والفصاحة وأمور الإعجاز الأخرى حتى تخرج عن طوق البشر ، فيعجزون عن معارضته ومجاراته أو الإتيان بمثله كنص مرصوف من كلمات معدودة تحتوي على دررٍ من الفوائد البيانية .

تعريف المعجزة اصطلاحاً :

عرفها العلماء بعدة تعريفات منها : أن المعجزة " هى أمرُ خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة" " القطان : حرف ط : 2 ، مباحث في علوم القران : 259"

وقال صاحب البيان : المعجزة " هي الأمر الخارق للعادة ، سالم عن المعارضة يجريه الله على يدي النبي تصديقاً له في دعوة النبوه" " الخالدي : 1991 ، البيان في اعجاز القران : 23" .

وأجمع هذه التعريفات الآتي :

(هي أمر خارق للعادة والمألوف من الفعل أو الترك يجريه الله على يد نبي أو رسول على وفق مراده ؛ ليبرهن على صدقه مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة وذلك في زمن التكليف (اللوح : 1986 ، الإعجاز العلمي /6) .

من خلال هذا التعريف الجامع نستطيع استنتاج الشروط التي ينبغي توافرها في المعجزة وهي كما يأتي:

1 - أن تكون المعجزة من فعل الله سبحانه وتعالى وليس للنبي أو الرسول يدٌ في فعلها سوى أنها جرت على يديه ، وإنما دور النبي الدعاء بالتأييد والتثبيت ؛ لأن الذي يخرق النواميس الكونية ليس البشر وإنما الله سبحانه وتعالى ، والدليل على هذا الشرط ، حادثة الإسراء والمعراج ، قال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** ﴾ (الإسراء: 1) لم يقل بنبيه أو رسوله ليقرر في وسط المعجزة أن محمداً عبد وبشر وليس في مقدوره التغيير وإنما التغيير بيد الله سبحانه وهو على كل شيء قدير .

2 - أن تكون المعجزة ناقضة للعادة والمألوف : بمعنى أن تكون خرقاً لسنن يراها الناس ويلمسونها ، كأن تُقلب العصا إلى ثعبان أو يشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة أو يضرب

البحر بعصاه فيصبح طريقاً يبساً أو يضرب الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، أو ينبع الماء من بين أصابعه ، أو يُطعم الخلق الكثير من الطعام القليل كما حدث يوم الخندق وكذهاب خاصية الإحراق من النار وتصبح برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام عندما أُلقي فيها ، وغيرها كثير حدث على يد الأنبياء المرسلين .

3- أن يعجز المتحدى بها الإتيان بمثلها : بمعنى أنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها ، وبهذا الشرط يخرج ما يحدث عن طريق السحر والشعوذة والكهانة لأن ذلك ليس من قبيل المعجزة وإنما من قبيل التخييل وخفة اليد والظن والتخمين .

4- أن تكون المعجزة مطابقة لمن ظهرت على يديه ومصدقة له ، وأما إن شهدت بتكذيبه أو تناقضت مع دعوته فليست معجزة ، وإنما تكون فتنة واستدراجاً .

5- أن تكون في زمن التكليف : بمعنى أن تكون المعجزة في الحياة الدنيا وقبل ظهور العلامات الكبرى ليوم القيامة ، وذلك ليتم التحدي بها والعجز عن معارضتها من الناس ، وبهذا الشرط تخرج العلامات الكبرى ليوم القيامة ولا تُعد معجزات ؛ لأنها ليست للتحدي ، مثل: طلوع الشمس من مغربها وكنسف الجبال وتسجير البحار وانفطار السماء ... الخ (عباس : 1991 ، إعجاز القرآن /21 ، 22) .

القدر المعجز من القرآن :

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب فتحداهم جميعاً ، وكانوا أصحاب البلاغة وفرسان البيان وتميزوا بسلامة السليقة وسرعة البديهة إلا أنهم وقفوا أمام التحدي عاجزين حائرين لا يستطيعون مجاراة الأسلوب في نص الخطاب القرآني ، فتحداهم في بداية الأمر بقوله تعالى : ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ (الطور:34) .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور فقال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (هود:13) .

ولما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ، قال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (يونس:38) .

وفي آخر مرحلة من مراحل التحدي طلب منهم أن يأتوا بسورة تشبه القرآن فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ** ﴾ (البقرة: 23) .

وقال القاضي أبو بكر :"ذهب عامةُ أصحابنا ، إلى أن أقلّ ما يُعجَز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها ، فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ، وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز (الزركشي : 1408هـ ، البرهان ، 116/2) .

ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ (الطور:34) لأن الحديث يحصل في أقل الكلمات كسورة قصيرة وهو يؤكد ما ذهبنا إليه ومع ذلك عجزوا ، قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ** ﴾ (البقرة: 24) وهذا قمة في تعجيزهم وإفحامهم مع أنهم أهل اللغة .

ثم أمرهم بأن يستعينوا بشركائهم من الجن ، حيث إن العرب كانوا قديماً يستعينون بالجن في معرفة التاريخ وكتابة المعلقات وحفظ الأنساب ، ومع ذلك أُسقط في أيديهم ، فوقفوا حائرين أمام الأسلوب القرآني ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ (الإسراء:88) .

سر التدرج في التحدي:

لقد وقع التحدي في القرآن الكريم من الكثير إلى أي شيءٍ من القرآن فطلب منهم في بداية الأمر أن يأتوا بمثل القرآن الكريم ولما عجزوا طالبهم بعشر سور مثل سور القرآن في البيان والفصاحة ، ثم وقع التحدي أخيراً بأن يأتوا بمثل سورة واحدة ، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة:23) .

ويوضح صاحب النبأ العظيم لفتة عن سر هذا التدرج في التحدي فيقول : انظر كيف تدرج القرآن معهم من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل فكأنه يقول لهم لا أكلفكم بالمماثلة، بل حسبكم أن تأتوا بشيء فيه جنس المماثلة ، وهذا أقصى ما يكون من التنازل ، ولذلك كان آخر صيغ التحدي نزولاً، ولهذا لم يأتِ التحدي بلفظ من مثله إلا في الآيات المدنية ، بينما مراتب التحدي بالمثل نزلت في السور المكية (دراز ، النبأ العظيم : 84) .

والذي تطمئن له النفس أن الإعجاز في النص القرآني لا يتعلق بقدر معين من القرآن ، ففي كل أياته وجميع سوره معجزة ، وكذلك يتضح الإعجاز البياني في أساليب التعبير التي انفرد بها القرآن الكريم، كما أنه يتمثل في وجود الفاصلة القرآنية، التي تعني مناسبة وتناسق ختم الآيات مع موضوعاتها، وصدق ابن عطية حينما قال: (كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد) (ابن عطية: 1993 ، المحرر الوجيز، 52/1).

المطلب الثاني: آراء العلماء في الإعجاز البياني

إن أبرز شيء في إعجاز القرآن هو ما يظهر فيه من الفصاحة والبلاغة والبيان، وروعة المعاني ودقة انسجام الألفاظ في مبانيها، وتنسيقها تنسيقاً يتناسب مع عذوبة الأسلوب والجودة في المعنى، ثم إحكامها في الربط بحيث تستولي على مشاعر السامعين لهذا القرآن الكريم.

ويمكن لكل إنسان أن يستوعب الجمال في أسلوب الخطاب القرآني ويقف على الإعجاز البياني؛ لأن القرآن في أسلوبه سلس العبارة واضح المعاني يخاطب العامة والخاصة من الناس والكل يجد فيه المتعة والجمال ويشعر بأنه متميز في أسلوبه المتنوع الذي يثير المشاعر بما يتضمنه من استفهام تارة وأسلوب الإيجاز أحياناً وأسلوب الإطناب وأوامر ونواهي وما يرد فيه من قصص وأخبار للأمم السابقة وأيضاً تنوعه في أسلوب الخطاب حيث وجدنا فيه المتعة وقمة البيان .

إن الأسلوب في النص القرآني يمتاز بمسحة خلابة عجيبة ، تتجلى في النظم الصوتي ، وجودة السبك في ترابط كلماته وجمله وآياته وسوره إلى أن وصل إلى البراعة في تصريف القول وأفانين البلاغة ، فأعجز البلغاء وقطع أنفاس الموهوبين من الفصحاء ، وتلوين الخطاب في القرآن كان فناً من فنون إعجازه الأسلوبي أجمع عليه علماء اللغة وأهل البيان: قديماً وحديثاً ، قال تعالى : ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾ (هود:1) .

أولاً : أقوال العلماء القدامى حول الإعجاز البياني :

لقد تحدث معظم القدامى عن الإعجاز اللغوي في الأسلوب القرآني وعدوه المعجزة الخالدة التي جاء بها القرآن وتحدى العرب وفرسان البلاغة ومن هؤلاء العلماء الآتي:

1 - **الإمام الخطابي:** هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ، الأديب اللغوي المحدّث ، كتب "بيان إعجاز القرآن ركّز فيه على الإعجاز البياني اللغوي البلاغي في القرآن، حيث جعل أقسام الكلام البليغ ثلاثة كما يلي:

أ - البليغ الرصين الجزل، وهو أعلى طبقات الكلام بلاغة.

ب - الفصيح القريب السهل، وهو أوسط طبقات الكلام.

ج - الجائز الطلق الرسل ، وهو أدنى وأقرب طبقات الكلام.

وهذه الأقسام الثلاثة متوفرة في أسلوب البلاغة القرآنية ووجودها مجتمعة في القرآن بدون تنافر أو تناقض، مظهر آخر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم .

وقال رحمه الله : "إنما صار القرآن معجزاً ؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني" (الخطابي : ثلاث رسائل ، 86) .

2 - **الرماني:** هو علي بن عيسى، الأديب المعتزلي ألّف كتاباً في الإعجاز سماه "النكت في إعجاز القرآن حققه الدكتور محمد خلف الله ، والدكتور محمد زغلول ونشراه مع كتابي الخطابي والجرجاني في كتاب واحد أسموه "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن" عام 1957م .

وقف الرماني في كتابه وقفة مطولة أمام الإعجاز البلاغي في النص القرآني وعرض فيه أقسام البلاغة ومثل لها بآيات من القرآن ، وبدأ بتقسيم البلاغة إلى ثلاث طبقات:

أ - **أعلى طبقة:** وهي بلاغة القرآن المعجزة وهي خاصة به ، لا يصلها كلام البشر مهما ارتقوا في أساليب البلاغة والبيان .

ب - **أوسط طبقة:** وهي ممكنة للناس، وهي كلام البلغاء والفصحاء .

ج - أدنى طبقة : وهي كلام عامة الناس.

فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن ، وما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس (الرماني : النكت ، 75) .

3 - **الجرجاني:** هو عبد القاهر الجرجاني رائد في علم البلاغة القرآنية والنظم القرآني وأهم كتبه في هذا المجال " دلائل الإعجاز" انتصر في كتابه لقضية المعنى والنظم على قضية اللفظ ؛ لأنه كان يخشى أن يبطل الإعجاز إذا أصبح محصوراً في الألفاظ ، لأن ميدان اللفظ ضيق ولا يتسع للإعجاز أما ميدان النظم فهو فسيح يتسع له .

كما أنه انتصر لفكرة الإعجاز في القرآن وأثبتها بنظريات وآراء قوية ومقبولة ، وساند الانتصار لأهل السنة على المعتزلة (الجرجاني : 1409 هـ ، دلائل الإعجاز ، ص41) .

ملخص نظرية الجرجاني :

أثبت أن التحدي والإعجاز في النظم والتأليف ، وقال : إن النظم هو : توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلمات والجمل والفقرات ، فالكلمات في الجملة لا يجمعها ويؤلف بينها إلا النحو ، وجعل البلاغة من: مجاز واستعارة وكناية وتمثيل من لوازم النظم ومقتضياته وألوانه .

4 - **الباقلاني:** هو القاضي أبو بكر الباقلاني ألّف كتاباً مشهوراً أسماه " إعجاز القرآن " رداً على مطاعن الملاحدة في عصره ، وتضمن الكتاب أهم أفكاره عن فكرة الإعجاز في النص القرآني ، وهي كالتالي :

أ - عدّ القرآن الكريم المعجزة للنبي ﷺعبر الأجيال إلى يوم القيامة ، وقال : إن تحدي الإنس والجن بهذا القرآن قائم إلى يوم الدين .

ب - إن القرآن معجز بأسلوبه وبلاغته ، وأنه تحدى العرب فعجزوا عن معارضته .

ج - وقال : إن أقلّ المعجز في القرآن هو أقصر سورة منه .

د - حصر وجوه الإعجاز في عشرة ، ذكر منها: نظم القرآن وأسلوبه وبلاغته وتوسع في ذلك كثيراً ثم أوضح باقي الوجوه الأخرى لإعجاز القرآن (الباقلاني : إعجاز القرآن ، 192) .

خلاصة رأيه في الإعجاز البلاغي :

قال : إن أسلوب القرآن خارج عن الأساليب المعروفة ولم يستطع العرب مجاراة القرآن في الأسلوب الأدبي ، وأن القرآن أجاد في كل ما عرض من موضوعات ، وأن القرآن معجز للجن والإنس ، وأن أساليب البيان العربي وجدت في القرآن أعلى مستوى ، وأن كلمات القرآن وجمله متميزة وأسلوبه في الخطاب يعرفه الناس إذا وضع بين كلام البشر الشعري أو النثري ويكون حلياً وزينة وجواهر ؛ لأنه كلام رب العالمين (الديب: بيان في إعجاز القرآن، ص 20) .

ثانياً : دعاة الإعجاز البياني في العصر الحديث :

1 - الشيخ محمد رشيد رضا : تحدث الشيخ رضا عن الإعجاز أثناء تفسيره لآية التحدي في سورة البقرة، ويرى أن التحدي بعشر سور كما جاء في سورة هود مقصود به التحدي بقصص وأخبار الأمم الماضية ، وعرض في تفسيره لأهم وجوه الإعجاز ، وحصرها في: إعجاز القرآن

بأسلوبه ونظمه ، وبلاغته وبما فيه من علم الغيب ، وبما يحويه من علوم دينية وشرعية ، وبتحقيق مسائل كثيرة كانت مجهولة عن الناس (رضا : تفسير المنار ، 196/1) .

2 - الرافعي: يرى مصطفى صادق الرافعي أن الوجه الأساسي في الإعجاز هو "نظم القرآن" مع بعض الوجوه الأخرى للإعجاز ، وحصر مظاهر الإعجاز في ثلاثة أمور وهي كالتالي :

أ - الحروف وأصواتها. ب - الكلمات وحروفها. ج - الجمل والكلمات .

قال : بالإعجاز الموسيقي عند حديثه عن الحروف وأصواتها وعد سقوط حرف أو إبداله بغيره يسبب خللاً واضحاً ، وقال : إن حروف الكلمة متناسقة مع بلاغة النظم بالهمس والجهر والقلقلة والصفير والمد والغنة .

3 - الدكتور محمد عبد الله دراز : ألف كتابه "النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن" ، وهو من أهم الكتب العلمية في إعجاز القرآن وقسم الكتاب إلى قسمين :

الأول : تحديد القرآن .

ثانياً : بيان مصدر القرآن وهذا الأخير قسّمه إلى مراحل :

المرحلة الأولى : بيان أن القرآن لا يمكن أن يكون إيحاءً ذاتياً من الرسول عليه الصلاة والسلام.

المرحلة الثانية : ناقش الذين زعموا أن الرسول أخذ القرآن من مُعلّم وأبطل هذا التصور .

المرحلة الثالثة : ظروف الوحي وملابساته .

المرحلة الرابعة : البحث في جوهر القرآن نفسه وحقيقة مصدره .

ويرى الدكتور دراز : أن الإعجاز القرآني يكمن في ثلاث نواحي :

أ - الإعجاز اللغوي ويعده أظهر وجوه الإعجاز ؛ لأنه هو الذي وقع به التحدي والقرآن عنده معجزة لغوية خالدة .

ب - الإعجاز العلمي وهو يتحدث عن إشارات علمية في الآيات القرآنية .

ج - الإعجاز التشريعي الإصلاحي الاجتماعي .

4 - عبد الكريم الخطيب : لقد قال : إننا نجد في القرآن الكريم أموراً كثيرة انفرد بها عن كلام البشر فخلصت له دون غيره مما أكسبته التفرد والسبق على غيره من الكلام ، فهو مبنٍ على الصدق المطلق مما جعل سلطانه متمكن من القلوب والعقول ، وهو يتحدث عن الحقائق الدينية أو الدنيوية ، أو كونية أو اجتماعية أو تشريعية ، فإذا بها أثبت ما تكون لأنها على الحق تقررت ،

أمّا كلام البشر فلن يخلو من شوائب الهوى الشخصي والنقص في القدرة البشرية (الدباغ : وجوه من الإعجاز القرآني ، 31) .

5 - سيد قطب : يرى أن الإعجاز في كل آيات القرآن الكريم وفي الآيات الأولى التي خلت من العلوم والتشريعات ، ويرى أن الإعجاز في بيان القرآن وأسلوبه ونسقه البياني وتصويره الفني ، وقال : إن تذوق الجمال الفني في القرآن مرَّ بثلاث مراحل وهي كالتالي :

المرحلة الأولى : التذوق الفطري التي قام بها الصحابة حيث لم يعللوا ما كانوا يجدونه في أثر القرآن عليهم وتأثيره فيهم .

المرحلة الثانية : مرحلة إدراك بعض مواضع الجمال المتفرقة التي قام بها المفسرون والأدباء وأثنى على الإمام الزمخشري في لفتاته البيانية في الكشاف ، وعلى الجرجاني في نظريته النظم القرآني .

المرحلة الثالثة : وهي إدراك الخصائص العامة الموجدة للجمال الفني القرآني وأن السابقين لم يبينوها وأنها تكمن في التصوير الفني في الأسلوب القرآني (قطب : التصوير الفني ، 29 -32) .

المبحث الثاني: مظاهر الإعجاز في الخطاب القرآني

إن الخطاب هو عقد كلام بين متحدث أو متكلم وسامع ، يكون الكلام صادراً من الأول إلى الآخرين، وكلما كان الخطاب بليغاً ويراعي أحوال المخاطبين كان مؤثراً فيهم ، والخطاب القرآني هو خطاب الله تعالى إلى الخلق أجمعين على اختلاف أجناسهم وأزمانهم إلى يوم الدين ، فعندما أُلقي على مسامع الناس، علمه المؤمنون ووجدوا فيه المتعة والجاذبية فأحبوه وآمنوا به ؛ لأنه يعلو على سائر الكلام ولا يُعلى عليه ، فعلموا أنه الحق من ربهم ، فسارعوا للدخول في هذا الدين عن علمٍ ويقين، عندما ادركوا السر الجمالي و التناسق في أساليب القرآن البيانية وهذا جعلهم يخضعون لهذا القرآن ويدركون أنه المعجزة الخالدة إلى يوم الدين ، ولتحقيق هذا الغرض استعرض الباحث أنواعاً متعددة لأسلوب الخطاب في القرآن بالشرح والتحليل والتأويل .

أنواع الخطاب في القرآن

أولاً : خطاب الجنس: المراد بالجنس مجموعة من الأشياء يصدق عليهم اللفظ الدال على الجنس، ويدخلون تحته مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ (الحج:1) الآية ذكرت لفظة الناس وهي جنس تفيد العموم ؛ لأنه يندرج تحتها :المؤمن والكافر والمنافق فهم جميعاً من الناس .

والخطاب بهذا اللفظ من خصائص القرآن المكي ؛ لأنه موجه للمؤمنين والكافرين مع التركيز على الأغلبية الكافرة التي أنكرت البعث والنشور آنذاك ويخرج من هذا النداء أقسام وهم المجانين والصبيان وكل صاحب عذر ، عملاً بقول رسول الله ﷺ في الحديث عن على رضى الله عنه : أن النبي ﷺ قال: (رفع القلم عن ثلاثةً : عن المجنون حتى يفيق ، و النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم) " مسند أحمد / 1258 ، 1292 "

وامتاز الخطاب في القرآن الكريم باستعمال أداة النداء الأساسية وهي "يا" وقلما يستخدم "أيْ" أو "الهمزة" أو "هيا" أو "وَآ" أو "أَيَا" أو "وآ" .

"فأَيْ – والهمزةُ" للمنادى القريب و "أيا وهيا وآ" تستعمل للمنادى البعيد و"يا" تستخدم لكل منادى (الهاشمي والقواعد الأساسية : 247) .

لذلك كثر استعمالها في الخطاب القرآني لحكمة بيانية وهي أن "الياء" أبلغ من باقي الأدوات لوجود الخصائص الآتية :

1 - الياء هي الأداة الوحيدة التي يمكن أن تصلح لجميع مستويات الخطاب البعيد والقريب .

2 - النداء بالياء يوجد الشعور بالفارق بين المخاطِب والمخاطَب فيُشعر بالمكانة والبعد بين الله سبحانه وتعالى والبشر المخاطبين .

3 - النداء بـ "يا" فيها من الطول في الصوت الذي يهيئ السامع لتنفيذ ما جاء بعدها: من أمر أو نهي ، وهذا لا يوجد في " أى " أو "الهمزة".

كما أن الخطاب بقوله تعالى " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " (الحجرات : 13) الخطاب هنا يعني جميع اصناف الناس المؤمن كابي بكر وعمر و الكافر كابي جهل وابي لهب ويعني من يتصفون بالإنسانية وهي العقل والمعرفة والفضيلة ولذلك قيل إن النبي ﷺ يدخل في هذا الخطاب والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** ﴾ (البقرة: 13) فالناس تعني العقلاء وهي عكس السفهاء (السعدي : 26/1) .

وقد يكون معنى لفظ الناس فرد واحد ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ (آل عمران:173) هذه الآية الكريمة تتحدث عن صحابي وهو معبد بن أبي معبد الخزاعي رضي الله عنه حيث جاء إلى

المجتمع الإسلامي سراً بعد غزوة أحد أخبر النبي ﷺ أن أبا سفيان يجمع الناس للحرب. "إبن كثير: تفسير القرآن العظيم 465/1"

إن لفظة الناس الأولى في الآية تعني ذلك الصحابي وعبر عنه بذلك للآتي:

1 - لأنه جاء سراً متخفياً والسر يقتضي إخفاء الاسم.

2 - لم يذكر اسم ذلك الصحابي حتى يستطيع القيام بمهمته التي كُلّف بها وهي التخذيل عن المسلمين.

3 - لكي تكون الآية صالحة لكل زمان ومكان عندما تكون العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

أما كلمة الناس الثانية فقد عبر بها للآتي :

1 - المراد منها أبو سفيان بن حرب ؛ لأنه كان يمثل الكفار آنذاك والكفار أنسب لفظ لهم الناس .

2 - إن الله سبحانه وتعالى يعلم أن أبا سفيان سيدخل الإسلام فلم يذكر اسمه في مقام الشرك وهو يعلم - سبحانه - أنه سيسلم ويحسن إسلامه وهذا يكشف عن جانب الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم حيث لم يذكر أبا سفيان في مقام الشرك ، بينما ذكر أبا لهب في موطن الشرك والكفر في سورة المسد ، لأن الله يعلم انه لن يدخل في الإسلام وسيموت على الكفر.

3 - جاء بلفظ الناس من أجل تفخيم الخبر والاستعداد للحرب ، فلفظ الناس أجود وأبلغ من القول بأن أبا سفيان جمع لكم .

ثانياً : خطاب النوع:

النوع طائفة من الجنس نحو قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرائيلَ** ﴾ والمراد "**بنو يعقوب**" خصهم الله بهذا الاسم الذي فيه تذكرة بالله ؛ لأن إسرائيل اسم مضاف إلى الله سبحانه ، وذلك ليذكرهم بالنعمة التي أنعمها عليهم مقابل التزامهم بالأوامر والنواهي في هذا الخطاب أيضا تذكير لهم بدين أسلافهم ، وفيه موعظة وتنبيه من غفلتهم لعلهم يرجعون إلى ما نزل من الحق ، وتمثل هذا الخطاب في كثير من الآيات القرآنية التي كانت تذكر القوم بنعم الله عليهم (الزركشي : 207/1) .

قال تعالى : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ (البقرة:40) ، وقال تعالى : ﴿ **سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ (البقرة:211) ، وقال

تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ** ﴾ (المائدة: 12) .

وقد خاطبهم القرآن بـ " اليهود " عند جحودهم بنعمة الله ،وعندما نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوا أهل الكتاب أولياء ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (المائدة:51) .

قال تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ** ﴾ (المائدة: 18) .

قال تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ...** ﴾ (البقرة: 113) .

قال تعالى : ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى** ﴾ (البقرة: 120) ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (الجمعة:6) .

ثالثاً: خطاب العين:

خطاب العين هو خطاب الشخص نفسه نحو قوله تعالى : ﴿ **يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ** ﴾ (هود: 48) ، وقوله تعالى : ﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا** ﴾ (الصافات:105) وقوله تعالى : ﴿ **يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ (البقرة: 35) ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ** ﴾ (المائدة: 116) .

وقوله تعالى : ﴿ **يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي** ﴾ (الأعراف: 144) ، وهكذا خاطب الله سبحانه الأنبياء جميعاً بأسمائهم ، أما محمد ﷺ فلم يقع النداء بـ "يا محمد" وإنما وقع الخطاب بـ "يا أيها النبي" و "يا أيها الرسول" وذلك للفوائد البيانية الآتية:

1- تشعر بأفضلية محمد ﷺ على سائر الأنبياء ، وهذا لا يعني التقليل من قيمة الأنبياء ، بل من باب التكريم لمحمد ﷺ والتعظيم والتبجيل والتخصيص له بذلك عن سواه ، وإنما بيان المكانة والدرجة الرفيعة التي خصّ الله بها رسوله ﷺ .

2 - الخطاب بـ "يا أيها النبي" و "يا أيها الرسول" يشعر بأنه سيكون خاتم الرسل وأن الرسالات قد اكتملت وليس بعده رسول ولا نبي .

3 - اللام الموجودة في "النبي" و"الرسول" تعني التعظيم وكمال الرسالة كأن تقول : "محمد هو الرسول" أي الخاتم الذي تحققت به الرسالة على أكمل وجه .

4 - الخطاب بـ "يا أيها النبي" جاء في الآيات القرآنية عندما يكون الكلام عن التشريع الفقهي لأبناء المجتمع الإسلامي مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ (الأحزاب: 59) وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ** ﴾ (الأحزاب: 50) وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (التحريم:1) .

وإذا جاء الخطاب لمحمد ﷺ بـ "يا أيها الرسول" فالكلام يُمهد للتأسيس الإيماني ؛ لأن الرسالة أكمل من النبوة ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك** ﴾ (المائدة: 67) فقد نودي ﷺ بعنوان الرسالة تشريفاً له وإيذاناً بأنها من موجبات القيام بمهمة تبليغ الرسالة إلى الناس مهما كانت التضحيات ، والله عاصم لرسوله ، وهو خير الحافظين (القاسمي : محاسن التأويل ، 283/4) .

وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْر ...** ﴾ (المائدة:41) وجاء الخطاب بـ "يا أيها النبي" أكثر استعمالاً في القرآن الكريم من "يا أيها الرسول" لأن الأمور التشريعية والفقهية أوسع من الأمور الإيمانية ، حيث إن الأخيرة ممكن حصرها في أركان الإيمان وما يتفرع عنها من قضايا العقيدة .

رابعاً : خطاب الذم:

قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ (الكافرون:1) ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (التحريم:7) .

لم يخاطب الله سبحانه الكافرين بياء النداء إلا في هاتين الآيتين وذلك للتقليل من شأنهم ، فلم يقصد التكريم وإنما أراد المبالغة في ختم التحقير فكان الخطاب ضرورياً فلا يغتروا بأنفسهم فهو أبلغ في التقريع والتقليل والإهمال ، وهو خطاب لا بد منه لبيان عاقبة الكافرين

وإذا جاء الخطاب في جانب الكفار فكان بلفظ الغيبة إعراضاً عنهم ؛ لأنهم لا يستحقون الخطاب المباشر من الله رب العالمين ؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ (الأنفال:38) .

فأعرض عن الخطاب المباشر للكافرين ، موجهاً الخطاب للنبي ﷺ لمخاطبتهم وهذا الاسلوب استخدمه ﷺ فكان إذا عاتب أقواماً عبر عنهم بلفظ الغيبة إعراضاً ، وكان يقول ﷺ : "**ما بال رجال يفعلون كذا**" (صحيح مسلم 2202/4) .

خامساً : خطاب التهكم :

التهكم في اللغة : الاستهزاء والهدم ، وتهكم رجل بآخر ، يعني أنه هدم بعض الجوانب من شخصية ذلك الإنسان ، وكانت العرب تقول : "تهكم البئر" إذا تهدمت (ابن منظور ، لسان العرب ، 817/6) .

وجاءت آيات قرآنية كثيرة تحوي خطاب التهكم من الكافرين ، منها التالي :

أ- قال تعالى : ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ (الدخان:49) الخطاب في الآية الكريمة موجه لأبي جهل رأس الكفر والعداء للإسلام والمسلمين .

سبب نزول الآية :

جاء عن عكرمة أنه قال : "لقي رسول الله ﷺ أبا جهل ، فقال : إن الله أمرني أن أقول لك: "أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى" فنزع يده من يده، وقال : ما تستطيع لي أنت ولاصاحبك من شيء، لقد علمت أني أَمْنَعُ أهل البطحاء ، وأنا العزيز الحكيم ، فقتله الله يوم بدر ، وأذله وعيّره بكلمته ونزل فيه : ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ (الواحدي : أسباب النزول ، 212) .

تحتوى الاية أسلوب التهكم والتقريع والتوبيخ بهذا الذي يدعي أنه العزيز المنيع الكريم حسب زعمه في الدنيا ، فعندما يخاطب هذا الفاجر الأثيم توبيخاً وتقريعاً وتهكماً واستهزاءً ، ذق هذا العذاب وكنت تزعم أنك المتعزز المتكرم ، والمراد بهذا أنك أنت الذليل المهان على سبيل التهكم والتقريع (الزحيلي 1998 : التفسير المنير ، 238/25) .

ب- وقوله تعالى : ﴿ **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ (التوبة: 34) .

يتضمن هذا النص التهكم من الكانزين للذهب و الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ،حيث أخبرهم بالعذاب الأليم في دار الجحيم ، وجعل العذاب مُبَشراً به والبشارة تكون للخبر السار

المفرح ، فإذا كان هذا هو البشارة العذاب الاليم ، فكيف بالنذارة ؟ فهي أشد وأنكى من ذلك ، وهذا نوع من التهكم فيهم .

وساوى صاحب الكشاف وقرن بين الكانزين للذهب والفضة وبين اليهود والنصارى تغليظاً عليهم ودلالة على أن من يأكل منهم السحت ، ومن لا يعطي من المسلمين من طيب ماله الحلال ، فهم سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم (الزمخشري : الكشاف ، 187/2) .

ج - قال تعالى : ﴿ **هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ** ﴾ (الواقعة:56) .

النزل في اللغة يطلق على أول شيءٍ يُقدّم للضيف بعد نزوله مباشرة على الآخرين، فإذا كان هذا العذاب المتمثل في الأكل من شجرة الزقوم التي لا تحترق بنار جهنم ؛ لأنها تنبت فيها، هو أول ما يُقدّم لهم ، فكيف بما يأتي بعده من العذاب فهو أشد وأدهى وأنكى (الصابوني، صفوة التفاسير 311/3) .

د - قال تعالى: ﴿ **وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ** ﴾ (الواقعة:43) وقوله تعالى : ﴿ **انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ * لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ** ﴾ (المرسلات: 30 -31) .

أخبر سبحانه وتعالى بأن الكافرين في نار جهنم يشاهدون ألسنة الدخان المتصاعدة فيحسبونها ظلاً ظليلاً فيهرعون لدفع الحر عنهم وإذا هم في ظل من دخان أسود حار من يحموم لا بارد ولا كريم .

وهذا أسلوب تهكم لأن الظل يكون للهواء المنعش وظل أهل جهنم بخلاف ذلك فهو للتعذيب (الجزائري : أيسر التفاسير ، 246/5) .

هـ - قال تعالى : ﴿ **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ (الرعد: 10 -11) .

يوضح النص القرآني أن تعذيب الله للناس سواء كان بالليل أو النهار فهو واقع بهم لا محالة ، ولن يقدر حرّاسهم على منع ذلك ، وهذا يعني: الاستخفاف والتهكم بحراس الجبارة والطغاة في الأرض ولن ينفعهم أحد يوم القيامة ؛ لأن أمر الله نافذ وواقع بهم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (يّس:82) ، حيث فسر الزمخشري "المعقبات" بالحرس حول السلطان يحفظونه من أمر الله على حسب زعمه ، فإنهم لا يحفظونه من أمر الله وهذا على سبيل التهكم بالطغاة وحُرّاسهم (الزمخشري: الكشاف، 352/2) .

وقوله تعالى : ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ (الأحزاب:18) .

إن حرف "قد" إذا اتصل بالفعل المضارع يفيد التشكيك ، بينما يفيد التحقيق إذا اتصل بالفعل الماضي كما في قوله تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾(المجادلة:1) فقد هنا تفيد التحقيق ، أي: أن الله سمع شكوى خولة بنت ثعلبة عندما ظاهرها زوجها أوس بن الصامت فأنزل الله آيات الظهار فيها وفي زوجها تُتلى إلى يوم القيامة توضح حكم من يُحرّمون زوجاتهم على أنفسهم .

بينما في النص الأول عندما اتصلت قد بالفعل المضارع تفيد الظن والشك وعليه يكون تفسير الآية حتى إذا كنتم تظنون أن الله لا يعلم فهو يعلم حتى على ظنكم ، وهو سبحانه في حقيقة الأمر يعلم بالمعوقين والمثبطين ولا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا في السماء ، ومثل هذا الخطاب يحمل طابع الإرعاب والتهكم بالمنافقين .

سادساً : خطابُ الجمع بلفظ الواحد:

جاء الخطاب بلفظ الواحد في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ (الانفطار:6) ، وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ**﴾ (الانشقاق:6) مثل هذه الآيات الخطاب فيها بلفظ المفرد "الإنسان" ولكنها تخاطب الناس جميعاً والعرب استعملت هذا الأسلوب من الخطاب حيث إن الحجاج كان يقول في خطبه : "يا أيها الإنسان وكلكم ذلك الإنسان" (الزركشي : البرهان ، 250/2).

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ (العصر: 2 -3) الآية واضحة في خطاب الجمع بلفظ الواحد ، حيث أراد بالإنسان الجماعة ولفظة الإنسان مفرد ، فيكون الخطاب للجمع بلفظ المفرد .

وجاء على لسان لوط حكاية قوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ** ﴾ (الحجر:68) عبر عنهم بالمفرد ؛ لأن ضيف مصدر والمصادر لا تجمع ، لذلك لم يقل "ضيوفي"؛ لأن ضيف تطلق على الواحد والمثنى والجمع ، فتقول : "جاءنا ضيف" والمراد الجماعة وعبر بذلك ؛ لأنهم على مساق واحد وهدف واحد وهو تنفيذ أمر الله سبحانه في إنزال العقاب الأليم في قوم لوط لأنهم عصوا وتمردوا وارتكبوا المنكرات .

قال تعالى: ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ (المنافقون: 4) ولم يقل الأعداء للفوائد البيانية الآتية:

1 - لأنهم على مساق واحد وهدف واحد في العداء للمسلمين .

2 - لأن ا لعداوة تتحقق فيهم كأنهم هم العدو وحدهم .

3 - وجاء بهذا التعبير لبيان شدة خطرهم ، فهم أخطر الأعداء ، بل الأعداء الرئيسيون للإسلام ، فهم يطعنون الإسلام من داخله ، ويعملون على تفريق وحدة الامة من خلال الاشاعات الكاذبة و الفرار من الغزوات.

4 - عبّر عن المنافقين بلفظ المفرد وهم جماعة ؛ لأنه كان يحركهم شخص واحد وهو رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول .

إن المنافقين هم الأعداء الكاملون في العداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين وإن أظهروا الإسلام باللسان فقلوبهم مليئة بالكفر لذلك فاحذروهم ولا تأمنوهم على سرٍّ من أسرار الدولة قاتلهم الله أنى يؤفكون (الصابوني : صفوة التفاسير ، 385/3) .

قال تعالى: ﴿ **وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾ (النساء: 69) هذه الكلمات القليلة في عددها ، هي كبيرة بمعانيها وبما تحويه من إيحاءات بعد التحليل والتأويل لأسلوب الخطاب حيث عبرت بالمفرد عن الجمع للفوائد البيانية الاتية :

1 - لأنهم في الصحبة أصدقاء مخلصون لبعضهم كأنهم رجل واحد .

2 - إذا رأيت واحداً منهم كأنك ترى الجميع لأنهم يتصفون بصفات واحدة ، فلا تستطيع التمييز بينهم ؛ لأنهم على نسق واحد .

3 - لأن سياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها ينتهي بالألف الممدودة في سورة النساء، فيكون من أجل خدمة الإيقاع الموسيقي في فواصل الآيات القرآنية مثل: رحيما، تسليما، عظيما، مستقيما، عليما، جميعا، شهيدا، لذلك عبر بلفظ رفيقاً، لتكون لحنة واحدة في الفاصلة القرآنية.

وهذا برهان على الإعجاز البياني في النص القرآني ولو عبّر بلفظة رفقاء لاختل المعنى ولذهب بالإعجاز البياني.

قال تعالى: ﴿ **أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ** ﴾ (النور: 31) الطفل مفرد وأراد الجماعة ودليل ذلك قوله "الذين لم يظهروا" فالأصل أن يقول الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حدَّ الشهوة، ولا يعرفون مقدمات الجماع وأموره لصغرهم فلا حرج أن تُظهر المرأة زينتها أمامهم وذلك لصغرهم (الصابوني : صفوة التفاسير ، 236/2) .

إن استعمال لفظة الطفل في النص القرآني وقع جنساً ؛ لأنه يدل على الأطفال لتحقيق فائدة بلاغية وهو استعمال المفرد والمراد الجماعة .

سابعاً : خطاب الواحد بلفظ الجمع :

جاء خطاب الواحد بصورة الجمع في الكثير من الآيات القرآنية ، نختار منها على سبيل المثال لا الحصر ، وهي كالتالي :

1- قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ (المؤمنون:51) . ذكر المفسرون أن الآية خطاب للرسول محمد ﷺ ؛ لأنه لا رسول معه ولا بعده ويبرهن على ذلك الخطاب الذي بعدها ، قال تعالى : ﴿ **فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ** ﴾ (المؤمنون:54) ، وهو مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع ، ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً أمروا بأكل الحلال وعمل الصالحات (الجوزي : زاد المسير 325/5) . خاطب محمد ﷺ بالجمع فقال : يا أيها الرسل ، وذلك للفوائد البيانية الآتية :

أ - يعني بالرسل محمداً ﷺ وحده ، وهذا تكريم للنبي ﷺ خاطبه بلفظ الجمع .

ب - يوصي النص "يا أيها الرسل" أنه ﷺ هو خاتم النبيين .

ج - لتصحيح التصور الاعتقادي الخاطئ عند المشركين فقد كانوا يظنون أن الرسل من عالم الملائكة أو عالم آخر ، فبينت الآية أن الرسل من البشر يأكلون الطعام أي الطيبات ويفعلون الصالحات .

د - الخطاب بهذه الصورة يدلل على أصل وحدة الرسالات السماوية وأنها من عند الله رب العالمين ، وأن الرسالة الأخيرة للخلق أجمعين ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء:107) .

2- أما قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾ (النحل:126) .

سبب نزول الآية : قال ابن عباس (رضي الله عنه) :"رأى رسول الله ﷺ حمزة قد شُق بطنه وجُدعت أذناه ، فقال:"لولا أن تحزن النساء ، أو تكون سنّة بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير، ولأقتلن مكانه سبعين رجلاً منهم" فنزلت الآية (الواحدي : أسباب النزول، 160).

الخطاب للنبي ﷺ عندما رأى عمه حمزة يوم أُحد مثَّل به المشركون فأقسم ﷺ ليمثلنّ بسبعين واحداً منهم ، ودليل الخطاب للنبي قوله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾

(النحل: 127) جاء الخطاب بصيغة الجمع وذلك لتحقيق الفوائد البيانية من النص القرآني وهي كالأتي :

أ - يؤخذ من هذا الخطاب سريان الحكم الشرعي بعموم اللفظ وعدم انحصاره بخصوص السبب .

ب - سخر الأسلوب البياني من أجل تحقيق الهدف التشريعي للأمة إلى يوم الدين .

ج - جاء أسلوب الخطاب بصورة الجمع لبيان أن الحكم الشرعي لا يُنفّذ بشكل فردي وإنما يُنفذ عن طريق النظام والجماعة ، وفي ذلك فائدة دستورية ، وهي أن الحكم الشرعي واجب تنفيذه من أفراد الدولة الإسلامية ، وهذا يعني بصورة واضحة أن النظام الحاكم هو الذي يقوم بتطبيق الأحكام وإقامة الحدود في المجتمع الإسلامي .

د - جاء الخطاب للمفرد بلفظ الجمع ؛ لأن فاجعة موت حمزة (رضي الله) عنه أثّرت على المسلمين جميعاً ولم تكن خاصة بالرسول ﷺ ، فبكته نساء المدينة .

هـ - إن موت حمزة رضي الله عنه كان فاجعة كبرى لأبناء المجتمع المدني لقربه رضي الله عنه من الرسول ؛ ولأنه جزء من بيت النبوة .

و - جاء الخطاب بلفظ الجمع ولم يأت بلفظ المفرد لمنع من تسول له نفسه بتنفيذ الأحكام الشرعية بصورة فردية ، ومنعاً للفوضى والفتن المترتبة عن إقامة سلطات داخل السلطة الحاكمة في المجتمع الإسلامي .

3 - قال تعالى : ﴿ **فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائيلَ** ﴾ (الشعراء: 21 -22) .

الخطاب في هذا النص القرآني موجه من موسى عليه السلام إلى فرعون ، فررت منكم إلى أرض مدين لما خفتكم على فعلتي التي فعلت وهي قتل القبطي ولم أرد القتل ، فوهب لي ربي علماً وجعلني من أنبيائه المرسلين ، وأي نعمة هذه التي تمنها عليّ وقد اتخذت بني إسرائيل عبيداً يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد (الجزائري : أيسر التفاسير ، 642/3) .

جاء أسلوب الخطاب بجمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت ؛ لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين مع فرعون بقتل موسى عليه السلام وأما الامتنان والتعبيد فمن فرعون وحده لذلك جاء الخطاب بصيغة المفرد ليكون أبلغ في التعبير (الزمخشري : الكشاف ، 109/3) .

الفوائد البيانية المستوحاة من النص القرآني :

أ - خاطبه بلفظ الجمع لبيان أن قوة فرعون ليست قائمة في شخصه بل تتمثل بجنوده ، قال تعالى : ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ** ﴾ (الذاريات:40) .

ب - إن دولة فرعون بأسرها ممثلة لرأي فرعون في العداء لموسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ** ﴾ (الزخرف:54) .

ج - الخطاب بهذه الصورة فيه تهكم بفرعون وجنوده ،فهم يملكون السلطة والقوة ومع ذلك استطاع موسى عليه السلام أن يفرّ من قبضتهم ، وذلك لأن رعاية الله معه ووهبه حكماً وجعله من المرسلين .

د - أسلوب الخطاب بهذه الصورة يُعبر عن مدى القوة الإيمانية عند موسى عليه السلام فوقف أمام طاغوت فرعون وجنوده .

هـ - لم يقل "فررت منك" بالمفرد ، ولو حدث ذلك لوقع في نفس فرعون أنه بشخصه وحده يستطيع أن يخيف موسى عليه السلام ، بل الأليق والأفضل والأبلغ أن يكون الخطاب كما جاء في النص بالجمع ؛ لأنه يحمل في طابعه الاستخفاف بفرعون وجنوده ، فرغم أنهم دولة تملك من وسائل البطش إلا أنه علية السلام استطاع النجاه من قتلهم .

و - الآية فيها تعريض بأن هذه الدولة التي يقودها فرعون ظالمة في أحكامها وتصوراتها ، ومع ذلك فإن عنصر الخير موجود بصورة صغيرة يتمثل في الرجل المؤمن ، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ** ﴾ (غافر: 28).

وأيضاً يتمثل في زوجة فرعون فهي مؤمنة ، قال تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (التحريم:11) .

4 - قال تعالى : ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (النور:22) .

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما حرم مسطحاً الإنفاق عليه حين تكلم في حديث الإفك عن أم المؤمنين عائشة(رضي الله) عنها ، ومسطح هو ابن خالة أبي بكر الصديق وكان فقيراً ومن المهاجرين وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً (تفسير الطبري : 289/9) خاطبه رضي الله عنه بلفظ الجمع للدلالة البيانية التالية :

أ - لبيان مكانة أبي بكر الصديق ومنزلته في الإنفاق ، كأنه جماعة تنفق في سبيل الله ، وهذا فيه تشريف لأبي بكر ودلالة على كثرة إنفاقه في سبيل الله .

ب - يوضح الخطاب بصورة الجمع أن حكم الآية ليس خاصاً بسبب النزول وإنما يأخذ طابع العموم وينطبق على كل من يصح عليه الخطاب .

ثامناً : خطاب الواحد بلفظ الاثنين :

1 - قال تعالى : ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾ (قّ:24) . أخرج الأمر بصورة خطاب الاثنين مع أنه موجه لخازن نار جهنم ، قال تعالى : ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ** ﴾ (الزخرف:77) أي نادى الكفار مالكاً خازن النار قائلين : ليُمتنا اللهُ حتى نستريح من العذاب (الصابوني : صفوة التفاسير، 165/3) .

الآية دليل على خطاب الواحد وهو خازن جهنم لكنه جاء بلفظ "ألقيا" مثنى لوجود ألف الاثنين في آخره، حيث إن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين (تفسير القاسمي : 172/9) .

الفوائد البيانية في هذا الخطاب تتمثل في الآتي :

أ - جاء الخطاب في الآية الكريمة للواحد وهو خازن جهنم بلفظ المثنى ليبين أن قوة خازن جهنم كأنما تساوي قوة خازنين ، ولكي يتفق مع قوله تعالى : ﴿ **فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾ (الرحمن: 41) ولبيان قوة الأخذ التي تخيف المأخوذ من خازن النار .

ب - عبر بلفظ "ألقيا" وفي ذلك توكيد كأنه يكرر فعل الأمر مرتين "ألقَ ، ألق" وهذا من سمات البيان الرائع، وقد كان هذه الأسلوب سارياً عند شعراء الجاهلية وهو خطاب الاثنين للواحد .

ج - ألف الاثنين قد تعني الطائفة أو الصف من الملائكة لا يعلمهم إلا الله سبحانه ، فيكون الخطاب لطائفة وأخرى مثلها .

د - قال تعالى : ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾ (قّ:24) كأنه يصور في النص الكفر بشخص واحد ، والعناد بشخص آخر ، لذلك عبر بالمثنى ليقابل هاتين الصفتين ، والله تعالى أعلم .

2 - مثال آخر قوله تعالى : ﴿ **قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (يونس:89) .

قال ابن عباس : كان موسى (عليه السلام) يدعو وهارون يؤمّن فنسبت الدعوة إليهما ، وإنما دعا على فرعون وقومه لطغيانهم وشدة ضلالهم (الصابوني : صفوة التفاسير ، 595/1) .

إن الداعي واحد وهو موسى (عليه السلام) ، وخاطبه بالمثنى للفائدة البيانية الآتية :

أ - لبيان شدة الترابط ووحدة الهدف بين موسى عليه السلام وأخيه هارون ، فهما مخلصان لبعضهما في الدعوة إلى الله وشركاء في إخراج بني إسرائيل من حكم فرعون الطاغية .

ب - الداعي موسى عليه السلام وأخوه هارون موافق على الدعوة ويؤمّن على دعاء أخيه ، لذلك عبّر الله سبحانه بالاستجابة على ما في قلبيهما من الإخلاص والصدق والتقوى .

تاسعاً : خطاب الاثنين بلفظ الواحد :

قال تعالى : ﴿ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾ (طـه: 49 -50) .

خاطب الاثنين موسى وهارون ولكنه أفرد موسى عليه السلام بالنداء على سبيل التخصيص لأنه الأساس في تحمل أعباء الرسالة ، وهارون وزيره "مساعده" في توصيل الدعوة إلى فرعون وملئه (الزمخشري : الكشاف ، 539/2) .

إن الخطاب في هذا النص القرآني بهذه الصورة يضع أيدينا على الإعجاز البياني في الآية الكريمة ؛ لأنها تحمل من الإيحاءات والفوائد البيانية التي تجعل السامع للنص يشعر بالمتعة وجمال البيان فيؤمن أنه كلام علّام الغيوب(عيد ، 1993م ، البحث الأسلوبي ، ص 256 ، 207).

الفوائد البيانية في النص :

1 - لقد خص موسى عليه السلام بالنداء ؛ لأنه صاحب الرسالة وهو الأصل في توصيلها .

2 - جاء الخطاب لموسى بعد خطاب الاثنين ؛ لأنه (عليه السلام) كان يرأس الكلام مع فرعون وقومه ، وأيضاً عليه عاتق الدعوة إلى الله وتبليغها إلى الناس .

3 - إن فرعون يعلم أن موسى (عليه السلام) كان أقل فصاحة من أخيه هارون فأراد أن يستثيره لكي يتكلم موسى عليه السلام فيوقعه في ضائقة تعبيرية ويؤكد ما ذهبنا إليه ، ما جاء حكاية على لسان فرعون قوله تعالى : ﴿ **أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ** ﴾ (الزخرف:52) .

4 - الخطاب فيه إشعار أن فرعون يدعي أنه ليس هنالك أحد يرفض ربوبيته على الناس "في الدولة" إلا موسى (عليه السلام) ، أما هارون فهو بتحريض من موسى ، لذا جاء خطاب الاثنين بلفظ الواحد فكان أبلغ في التعبير عن المراد .

5 - لتحقيق الفائدة الإيقاعية ، وهي أن الآيات تنتهي بالألف المقصورة فقال يا موسى ليناسب الإيقاع مع الآيات في السورة حيث إنها تنتهي بـ"طغى ، يخشى ، أرى ، الهدى ، تولى ، يا موسى ، هدى ، الأولى ، ينسى ، شتى" .

عاشراً : خطاب الواحد بعد الجمع :

قال تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (يونس:87) .

أمر الله سبحانه موسى وهارون عليهما السلام بأن يجعلا بمصر بيوتاً للعبادة والصلاة ، يتعبد فيها بنو إسرائيل ، وأن يجعلوا بيوتهم قبلة متجهة نحو القبلة ؛ لأنهم كانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان الحال مع المؤمنين في أول الإسلام بمكة المكرمة .

وإن قلت لماذا نوع في الخطاب حيث خاطب الاثنين موسى وهارون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتاً ويجعلاها للعبادة ، ثم سيق الخطاب عاماً عند الأمر بإقامة الصلاة واتخاذ القبلة ، ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة لقومه (الزمخشري : الكشاف ، 249/2) ، لتحقيق الآتي :

الفائدة البيانية من تلوين الخطاب بهذه الصورة :

1 - جاء الخطاب في بداية النص مثنى ؛ لأن المعني بالخطاب موسى وهارون عليهما السلام ، أما موسى علية السلام فهو مفوض بالتبليغ و البيان ، وأما هارون عليه السلام فهو شريك لاخيه في الدعوه الى الله .

2 - جاء الخطاب بصورة الجمع لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ؛ لأنها مطلوبة من الجميع وهي واجب على الجمهور .

3 - لقد أفرد في أسلوب الخطاب في الثالثة ، فخص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض من العبادة ، وهذا يدل على التكريم والتعظيم لموسى عليه السلام ؛ لأنه هو المُبشِّر ويحتاج إلى الوحي ، وعليه يقع تبليغ الرسالة .

4 - اختار الله سبحانه موسى عليه السلام بالبشارة ؛ لأنه هو الذي قام عليه أصلُ الرسالة وهو أفضل من أخيه هارون عليه السلام .

الحادي عشر : خطاب عين والمراد غيره :

1 - قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ (الأحزاب:1) .

المقصود بأسلوب الخطاب في النص هو التنبيه بالأعلى وهو النبي عليه السلام على الأدنى وهم المؤمنون ، لأنه تبارك وتعالى إذا أمر رسوله بالتقوى كان المؤمنون مأمورين بطريق الأولى ، بعدم طاعة الكافرين والمنافقين فيما يخالف الشريعة الإسلامية ، ثم ذيّل النص بقوله "إن الله عليماً حكيماً" ليتناسب مع جو الآية ، أي إن الله عليم بمن يتقيه ويلتزم أمره في عدم طاعة الكافرين والمنافقين وحكيم فيما يخلقه (الزحيلي : التفسير المنير ، 227/21) .

التحليل البياني للنص :

أ - الخطاب للنبي ﷺ والمراد المؤمنون ؛ لأنه ﷺ كان تقياً وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين ، والدليل على ذلك ما جاء في الآية التي بعدها قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾ (الأحزاب:2) جاء الخطاب بصورة الجمع في خاتمة الآية ليفيد العموم .

ب - قال بعض المفسرين : إن كان المقصود من الخطاب الرسول ﷺ يكون المعنى ، أن اثبت على ما أنت عليه ولا تطع المنافقين فهم يستغلون كل موقف لصالحهم ولو كان يوقع الضرر في المصلحة العامة للمسلمين .

2 - مثال آخر قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ (يونس:94) .

أسلوب الخطاب في النص موجه للنبي ﷺ والمراد الناس وهم أهل مكة ؛ لأنهم وقع منهم الشك حول رسالة السماء ، ويبرهن صدق هذا التأويل ما جاء في الآية التي بعدها في نهاية السياق قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ (يونس: 104) .

التحليل البياني من الخطاب :

أ - إن النبي ﷺ لم يحصل لديه شك حتى يطلب منه أن يسأل أهل الكتاب ، وإنما الشك حصل عند أهل مكة فكان الخطاب لهم بأن يتوجهوا لأهل الكتاب ، حتى يعلموا أنه الحق من ربهم .

ب - النبي ﷺ لم يسأل أهل الكتاب قط ؛ لأنه ليس لديه شك حول الرسالة وهو القدوة لنا جميعاً ، فيجب علينا ألاّ نشك لأنه كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .

ج - إن الخطاب للسامع أو للنبي ﷺ والمقصود به كل إنسان من الأمة ، وهذا التعبير مألوف بين العرب ، كما أن افتراض الشك في الشيء لنفي احتمال وقوعه مألوف أيضاً لدى العرب ، ويُدلل على ذلك ما جاء حكاية على لسان عيسى عليه السلام قوله تعالى : ﴿ **إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ** ﴾ (المائدة: 116) وهو يعلم أنه لم يقله ولو قاله لعلمه الله منه .

وهذا الأسلوب في قمة الصراحة في الدعوة الي الاسلام ، فالله سبحانه يفتح الصراحة ويتحرى الدقة بأن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي عليه أن يسارع في حلها بالرجوع إلى أهل العلم ، لكي لا يأخذ الناس هذا الدين تلقيناً دون تبصير ، فهو ليس كدين النصارى ، ولا حجر على أحد في اعتناقه (الزحيلي : التفسير المنير ، 264/11) .

د - هذا الخطاب استعملته العرب قديماً ، والقرآن نزل بلسان عربي مبين ، بدليل المثل القائل : "إياك أعني واسمعي يا جارة" وهو يصدق في معناه مع قوله تعالى : ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ﴾ (الزمر: 65) وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ** ﴾ (الأحزاب: 1) .

هـ - ذهب بعض العلماء أن المقصود في الخطاب النبي ﷺ ، وإن كان كذلك فليس المراد ابتداءً الشك ، بل إن حصل معك شك في المستقبل فاسأل الذين سبقوك من الذين أوتوا الكتاب ممن أسلموا فهم أعلم به لأنهم أصحاب كتاب ، لهذا عبّر بـ "إن" التي تفيد الشرط مع ضعف احتمال وقوعه وهي أقرب للاستحالة كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** ﴾ (الزخرف:81) ومثل قوله تعالى : ﴿ **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ (الحجرات: 6) ولم يعبّر بـ "إذا" التي تفيد التحقيق في وقوع الشرط بعكس "إن" التي تفيد القلة والندرة ." القاسمي : 1978 ، محاسن التأويل 81/6 ، 80 "

الثاني عشر : خطاب الاعتبار :

يأتي خطاب الاعتبار من أجل أخذ العبرة سواءً من الكائن الحي المتحرك أو الميت أو الجماد ، وهو من أساليب البيان التي استخدمها القرآن الكريم عندما يوجه الأنظار إلى حركة النجوم في السماء وكذلك القمر في حركته وأيضاً الشمس كيف تبدأ وأين تنتهي ، قال تعالى : ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾

(يّــس:40) ، وأيضاً الاعتبار من حياة الأمم الماضية كما في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا** ﴾ (محمد:1) **مثال** : قال تعالى : ﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** ﴾ (الأعراف:79) .

الفوائد البيانية من النص :

1- الخطاب جاء على لسان صالح عليه السلام لما هلك قومه ، خاطبهم بعد هلاكهم بالصيحة على سبيل أنهم يسمعون كما فعل النبي ﷺ بأهل بدر بعد أن وضع قتلى المشركين في القليب فناداهم بأسمائهم فقال : "يا فلان ابن فلان : أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقال عمر : يا رسول الله أتكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فقال رسول الله ﷺ : "والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم (صحيح البخاري ، رقم 3757 ، 1461) .

2- جاء خطاب الاعتبار حتى يعتبر الكافرون والمنافقون ، وكل من يصل إلي أسماعهم .

الثالث عشر : خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره :

كقوله تعالى : ﴿ **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ (هود:14) .

التحليل البياني للنص :

1- الخطاب للنبي ﷺ فعبر بقوله : "لم يستجيبوا لكم" خاطبه بأسلوب الجمع وذلك لتعظيم شأن النبي ثم عدل إلى خطاب الكفار فقال تعالى : ﴿ **فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ** ﴾ والدليل على ذلك قوله : ﴿ **فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ بمعنى أسلموا أيها الناس لله الواحد القهار .

2- قال بعض المفسرين إن كان الخطاب للنبي وهذا بعيد فهو يعني أنك تعلم أنه أنزل من عند الله فابق على هذا العلم .

3- مما يدلل أن الخطاب في الآية للكفار ما جاء في الآية التي قبلها قوله تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** ﴾ (هود: 13) ، فهو خطاب لأهل مكة بأن يأتوا بعشر سور ولو كانت مفتريات بحيث أن تكون على نسق القرآن في أسلوب البيان فإنهم لن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً مع أعوانهم من الجن .

الرابع عشر : خطاب التلوين :

خطاب التلوين هو من أساليب البيان العربية حيث يتم التوجه بالخطاب والتعبير عن شخص ثم العدول إلى غيره أو مخاطبة الحاضر والعدول إلى الغائب فهو عام وشامل ؛ لأنه يخاطب المفرد ثم ينتقل لمخاطبة الجماعة وأيضاً يدخل فيه خطاب الاثنين بلفظ الواحد ويسمى في اللغة بالالتفات (العك : أصول التفسير ، 315) .

مثال : قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ** ﴾ (الطلاق: 1) .

التحليل البياني للنص :

عبّر في الآية الكريمة بلفظ "طلقتم" بدلاً من طلقت وفي ذلك التفات من المفرد إلى الجماعة في الخطاب ليفيدنا في الآتي :

1 - الرسول ﷺ لم يطلق واحدة من نسائه حتى ينطبق عليه الحكم الشرعي .

2 - جاء الخطاب بهذه الصورة حتى لا يظن أحدٌ أن الحكم خاص بالنبي ، فعدل إلى صيغة الجمع ليفيد العموم والقرآن الكريم خصّ نساء النبي ببعض الأمور عن غيرهن من النساء ، قال تعالى : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ** ﴾ (الأحزاب: 32) وهذا الخطاب تكريم لنساء النبي وفيه تخصيص لهنّ على سائر النساء في بعض الأحكام فهنّ أمهات للمؤمنين .

3 - إذا تفيد حدوث شيء في المستقبل وهو الطلاق فإذا حدث وقوع الطلاق فعليكم أن تلتزموا بأحكام وآداب الطلاق كما هو مبين في شرع الله سبحانه .

4 - الطلاق يقع كثيراً وخاصة في مجتمعنا المعاصر ، لذلك عبر بإذا التي تفيد التحقيق ولم يُعبر بإن التي تفيد القلة والندرة ليتناسب الأسلوب مع واقع الناس في المجتمع .

الخامس عشر : خطاب الجمادات خطاب العاقل :

جاء أسلوب هذا الخطاب في القرآن الكريم كثيراً ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ (فصلت:11).

خاطب السماء والأرض فقالتا أتينا طائعين وكأنهن عاقل يسمع ويجيب، وقد اختلف حول هذه الإجابة، هل هي حقيقة بأن جعل الله لها الحياة والإدراك فجعلها تنطق أم على سبيل المجاز، بمعنى أنه ظهر منها اختيار الطاعة والخضوع المبرهن على ذلك.

لقد رجح ابن عطية في تفسيره أنه على الحقيقة؛ لأن العبرة فيه أتم وأكمل، والقدرة فيه أظهر (ابن عطية: المحرر الوجيز ، 7/5) .

وفي قوله تعالى : ﴿ **يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ** ﴾ (سبأ: 10) أمرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة ؛ لأن جميع ما لا يعقل يؤمر (الزركشي : البرهان ، 263/2) .

إن هذا العرض البياني لبعض نصوص القرآن الكريم قد أوضح الإعجاز البياني في نص الخطاب القرآني من خلال التحليل والتأويل للأساليب المتعددة في ألوان الخطاب عند العرب وكما صورها القرآن الكريم .

الخاتمة:

تناول هذا البحث المتواضع في عدد صفحاته وسطور كلماته الحديث عن "الإعجاز في نص الخطاب القرآني" واعتبر البيان في نص الخطاب من أقوى وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لما يحويه من جمال البيان وفنون البلاغة التي تخاطب العقول والوجدان ، فتُؤثر فيها وتجعلها تؤمن بالله الواحد الديان ، ولأن الإعجاز اللغوي البياني شمل جميع نصوص الكتاب الكريم فأظهر ما فيها من كنوز اللغة وجمال التعبير ، فعجز عن الإتيان بمثله أفصح البلغاء ، حيث تحدى العرب المشهورين بالبلاغة والبيان والمولعين بالشعر والكلمة المؤثرة ، وعندما وجدوا كلّ هذه الجوانب في أسلوب الخطاب القرآني أدركوا تفوقه البياني على كل ما يعرفونه من البلاغة والبيان، فما كان لهم من بُدٍّ إلا أن يُسلّموا بأنه الحق من ربهم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم مجيد .

وتضمنت هذه الخاتمة لأهم النتائج والتوصيات .

أولاً : أهم النتائج وهي كالتالي :

1 - إن الإعجاز البياني هو أشمل وأهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم على الإطلاق ، وهو المعجزة الخالدة للقرآن الكريم عبر الأجيال والعصور .

2 - أثبت البحث أن النص القرآني من خلال التأويل والتحليل البياني يمتاز بالمرونة والشمولية وفصل الخطاب ، وهذا مما جعله يستحوذ على قلوب وعقول المخاطبين به في كل زمان ومكان .

3 - خلصت الدراسة في هذا البحث إلى أن أسلوب الخطاب في نصوص آيات القرآن الكريم يحتوي على العبر والفوائد الجليلة المفيدة في صنع الحياة المثلى للناس جميعاً إذا طبقوا شرع الله في مجتمعاتهم وهذا مما يجعلنا نؤكد أن المستقبل لهذا الدين القويم .

4 - قام الباحث بالشرح والتحليل والتأويل لكثير من نصوص الخطاب في القرآن الكريم فشملت أنواعاً متعددة لأسلوب الخطاب ، وهذا يكسب القارئ الخبرة في كيفية التعامل مع النصوص القرآنية تفسيراً وتحليلاً وتأويلاً .

5 - هدفت الدراسة إلى تعميق الإيمان بوجه الإعجاز البياني من خلال التحليل والتأويل ، وبيان السر الجمالي في نص الخطاب القرآني ، وكيف استطاع أن يصل إلى القمة السامقة في التأثير على المخاطبين به ، فعجز أهل اللغة وفرسان البلاغة والبيان قديماً وحديثاً عن الإتيان بمثله .

ثانياً : التوصيات :

1 - إن هذا البحث الموسوم بـ "الإعجاز في نص الخطاب القرآني" توجد له مادة علمية واسعة في القرآن الكريم تحتاج إلى كشف وبيان وتدوين في كتاب مفيد لجميع مستويات الناس الثقافية .

2 - يوصي الباحث العاملين في حقلي اللغة والدعوة الإسلامية إلى البحث عن وجوه الإعجاز الأخرى في القرآن الكريم وكتابتها بأسلوب سهل مؤيد بالأدلة النقلية والعقلية ، لكي يتعرف الناس على وجوه الإعجاز الأخرى التي تُرسخ الإيمان في قلوبهم .

3 - القرآن الكريم يحوي من كنوز اللغة وسائر المعارف الشيء الكثير .

لذا علينا بتقوى الله سبحانه حتى نُسهم في الكشف عن جزءٍ منها ، قال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: 282) .

وقبل الختام أسأل الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به طلبة العلم وسائر المؤمنين .

المراجع:

1. الباقلاني، إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني طبعة حققها الأستاذ أبو بكر عبد الرزاق ، مكتبة مصر الفجالة.

2. الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ط1 (1404هـ-1988م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
3. الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، ط2 (1418هـ-1997م) ، مكتبة العلوم والحكم .
4. الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، للإمام جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، ط1 (1407هـ-1987م) ، دار الفكر ، بيروت .
5. الخالدي ، البيان في إعجاز القرآن ، د.صلاح الخالدي: (1989م) مكتبة دار عمار، عمان الأردن.
6. الدباغ ، وجوه من الإعجاز القرآني ، لمصطفى الدباغ .
7. دراز ، النبأ العظيم ، الدكتور محمد عبد الله دراز ، 1404هـ-1984م ، دار القلم.
8. الديب : البيان في إعجاز القرآن ، لمحمد السباعي الديب.
9. رضا،تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،للإمام محمد رشيد رضا،ط2 (دار الفكر).
10. الرماني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي والجرجاني .
11. الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، ط1 (1991م) ، دار الفكر، سورية.
12. الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، طبعة دار الفكر .
13. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين الزركشي ، ط (1408هـ-1988م) ، دار الفكر.
14. الزمخشري ، الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ط (دار الفكر).
15. الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، ط (دار الكتاب اللبناني بيروت) .
16. السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ط2 (1411هـ-1991م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
17. السيوطي ، روائع البيان ، لجلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

18. الصابوني ، صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ط (1410هـ-1989م) ، دار الصابوني ، القاهرة .
19. الطبري ، تفسير الطبري ، جامع البيان في تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط1 (1412هـ-1992م) ، دار الكتب العليمة .
20. عباس ، إعجاز القرآن الكريم للدكتور فضل حسن عباس ، ط (1991م) ، عمان .
21. ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط1 (1413هـ-1993م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
22. العك ، أصول التفسير وقواعده ، تأليف الشيخ خالد عبد الرحمن العك ، ط3 (1414هـ-1994م) ، دار النفائس ، بيروت .
23. عيد ، البحث الإسلامي معاصرة وتراث تأليف د. رجاء عيد ، ط : 1993م ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية .
24. القاسمي، محاسن التأويل، محمد جمال القاسمي ، ط2 (1318هـ-1978م) ، دار الفكر ، بيروت .
25. القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ط:3 ، مؤسسة الرسالة.
26. قطب ، في ظلال القرآن ، سيد قطب ، بدون طبعة.
27. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين ابن كثير ، ط1 (1992م – 1413هـ) مكتبة دار الفيحاء.
28. ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، طبعة دار الجيل .
29. الإنطاكي ، المنهاج في القواعد والإعراب، محمد الإنطاكي، ط7، مكتبة دار الشروق، بيروت .
30. الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، السيد أحمد الهاشمي، درا الكتب العلمية، بيروت
31. الواحدي، أسباب النزول، للإمام علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مكتبة المتنبي، القاهرة.